المصطلح القرآني بين جدل النقد والتوظيف في الدوائر التنصيرية
-مقاربات لمصطلحي الثالوث، وأم المسيح-

د. آسيا شكيرب
قسم العقيدة ومقارنة الديان

انكب فريق من المنصرين على دراسة القرآن الكريم لأغراض تنصيرية، بالاعتماد على التفاسير المختلفة، لإثبات تهافت الطرح القرآني، وتعدد مصدريته، بين المصادر الداخلية، كالبيئة العربية والشعر الجاهلة، والمصادر الخارجية كالمعارف المكتسبة من الأديان السابقة، خاصة اليهودية والمسيحية.

يهتم هذا البحث ببعض المصطلحات التي لديها خصوصيتها في الحقل التداولي اللاهوتي المسيحي، كمصطلحي التثليث وأم المسيح؛ والتي تناولها القرآن بالنقد، فأوجد المنصرون بعض المداخل للطعن في النقد القرآني، ومن ثمة الطعن في مصدريته، واستغلال تلك المباحث لأغراض تنصيرية.

Abstract

The Qur'anic term between the debate of criticism and employment in the missionary circles
- Approaches to the terms Trinity, Mother of Christ -

A group of missionaries studied the Quran for missionary purposes, based on different interpretations, to prove the rush of the Qur'anic and pluralistic sources among the internal sources such as the Arab environment and ignorant poetry, and external sources such as the knowledge acquired from previous religions, especially Judaism and Christianity.

This research deals with certain terms that have their specificity in the field of Christian theological deliberation, such as the terms of trinity and the mother of Christ, which were discussed by the Qur'an in criticism. The missionaries found some entrances to challenge the Qur'anic criticism, thus challenging its sources and exploiting them for missionary purposes.

يعتمد التنصير على آليات ووسائل عديدة، ولعل أهمها نقد القضايا والأفكار والتقريرات التي أثارها القرآن الكريم في كلامه عن الآخر، وخاصة النصارى؛ فقد انكب فريق من المستشرقين والمنصرين لدراسة القرآن الكريم، بالاعتماد على التفاسير المختلفة، لإثبات تهافت الطرح القرآني، وتعدد مصدريته، بين المصادر الداخلية، كالبيئة العربية والشعر الجاهلة، والمصادر الخارجية كالمعارف المكتسبة من الأديان السابقة، خاصة اليهودية والمسيحية.

نعرّج في هذا البحث على بعض المصطلحات التي لديها خصوصيتها في الحقل التداولي اللاهوتي في المسيحية، والتي تناولها القرآن بالنقد، وقد اخترنا مصطلحي: التثليث وأم المسيح.

يرتكز البناء المنهجي للبحث على عرض العقائد عند النصارى، وعرض المستند النصي في القرآن الكريم، ومختلف التفسيرات الخاصة به في الحقول المعرفية المختلفة، سواء علم التفسير، أو علم العقيدة ومقارنة الأديان؛ ثم تقديم الشبه المثارة حول المصطلح القرآني وتفاسيره المختلفة، والرّد عليها وفق الطرق الاستدلالية العلمية، التي تحاول الابتعاد عن الذاتية، والتقيد بالموضوعية قدر الإمكان.

المطلب الأول: التثليث النصراني، والاشكالات المثارة حول النقد القرآني له

أولا- تعريف عقيدة التثليث la Trinité

التثليث هو الإيمان بوجود ثلاثة أقانيم في الله، الله الأب، الله الابن، والله روح القدس، وهذه الأقانيم هي إله أزلي، جوهره غير مرئي، وأشخاصه متساوون في الأبدية والقدرة والمجد[1]. وقد حدد هذه العقيدة قانون الإيمان النصراني، حيث جاء فيه: «نؤمن بإله واحد، الآب والابن وروح القدس، إله واحد جوهر واحد، متساوون في القدرة والمجد»[2].

1. E.Royston Picke : **Dictionnaire des Religions**, adaptation française : Serge Hutin, (Paris : Presses universitaires de France, 1954), p.308

2. بطرس عبد الملك: جون ألكسندر طمس، إبراهيم مطر: قاموس الكتاب المقدس، ط10،

والتثليث في اللاهوت النصراني نسق مكون من عنصرين أساسيين، هما الجوهر والأقانيم، ويختلف النصارى في التعبير عن هذه العناصر، فمنهم من يقول، ثلاثة أقانيم جوهر واحد، ومنهم من يقول ثلاثة أقانيم طبيعة واحدة، ثلاثة أشخاص، طبيعة وجوهر واحد.

وكلمة أقنوم Hypostasis باليونانية هي هيبوستاسيس، وهي مكونة من مقطعين: Hypo وهي تعنى تحت، وstasis وتعنى قائم أو واقف، وبهذا فإن كلمة أقنوم تعنى تحت القائم. ولاهوتيا معناها ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة. والأقنوم -حسب التعريف النصراني له- كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به، وله إرادة، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بغير انفصال. ولفظة «أقنوم» لا يوجد ما يقابها في لغاتنا اليوم، وهي تشير إلى وحدة الكيان[1].

الجوهر Ousia: مصدر كلمة أوسيا هو الفعل الإغريقي einai والذي معناه «وجد» أو «كان» ويترجم هذا الفعل بـ «جوهر Essence» أو «Susbstance» ويدل على عدة مفاهيم لا تستوعبها كلمة جوهر[2].

وقد استعملت كلمة جوهر في الإنجيل لتدل على «الملك» و«الحيازة»، ثم أصبح اللاهوتيون يستعملونها للتفريق بين الجوهر المادي وغير المادي، فاعتبروا الله حقيقة غير مادية، مع التحفظ من كونه خالق

(دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995م)، ص232.

1. استعملت الكلمة في العلوم الطبيعية الإغريقية للدلالة على السائل الذي يطرح في المستودع ثم أطلقت في اللغة اليونانية على الجوهر «أي على ما يجعل الإنسان أن يكون ما هو»
Sous la Direction de Angelo Di Beradino : **Dictionnaire Encyclopédique de Christianisme Ancien**, (Belgique : les Éditions du Cerf, 1990), p.1202

2. وقد استعملت كلمة جوهر في الإنجيل لتدل على «الملك» و«الحيازة»، ثم أصبح اللاهوتيون يستعملونها للتفريق بين الجوهر المادي وغير المادي، فاعتبروا الله حقيقة غير مادية، مع التحفظ من كونه خالق كل حقيقة غيره، وبعدها أصبحت كلمة جوهر في اللاهوت المسيحي تدل على الذات النوعية التي يحصلها الذهن بالتجرد من شيء موجود. (لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة: صبحي الصالح وفريد جبر، ط2، (بيروت: دار المعارف، 1979م)، ج2، ص295.
و Dictionnaire Encyclopédique de Christianisme Ancien, Tome2, p.1846

كل حقيقة غيره[1]، وبعدها أصبحت كلمة جوهر في اللاهوت المسيحي تدل على الذات النوعية التي يحصلها الذهن بالتجرد من شيء موجود.[2]

ويعتقد المسيحيون أن الأقانيم الثلاثة الإلهية: الآب والابن والروح القدس، لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، كما لا يمكن فهمها بعيدا عن بعضها البعض، كذلك لا يمكن استيعابها كحقائق بشرية، بل هي الطريقة التي عبّر فيها الله عن طبيعته التي لا يمكن تسميتها ولا التحدث عنها، بل يجب أن يتكيف مفهومنا عنها وفقًا لمحدودية عقولنا البشرية[3].

ويمكن القول أن لفظ التثليث لم يرد مطلقًا في الكتاب المقدس[4]، التثليث كمصطلح لم يرد في الكتاب المقدس، لكن النصارى يعتقدون أن الكتاب المقدس قدّم شخصيات متميزة الوحدة عن الأخرى، وهذه الشخصيات تكوّن التثليث الأبدي والحقيقي في الله. وقد أدخل هذا المصطلح إلى الديانة النصرانية مع نهاية القرن الثاني، وظهر أول مرّة باللغة اليونانية «Trias» في كتابات ثيوفيلس الأنطاكي d'Antioche Theophile في كتابه إلى أوليكوس «Aulycos»، ثم استعمله ترتليان[5] باللغة

1. Dictionnaire Encyclopédique de Christianisme Ancien, Tome 2, p.1846

2. لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص295.

3. فاضل سيداروس: سر الثالوث الأحد، ط2، (بيروت: دار المشرق، 1995م)، ص41.

4. جاء في دائرة المعارف الكتابية أن الكتاب المقدس لا يذكر هذا اللفظ بالذات تعبيرا عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر ومتساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية. وعقيدة الثالوث عقيدة كتابية، ليس باعتبار ورودها نصا في الكتاب المقدس، لكن باعتبارها روح الكتاب المقدس. والتعبير عن عقيدة كتابية بعبارات كتابية أفضل لحفظ الحق الكتابي. وتظهر عقيدة الثالوث في نسيج الأسفار المقدسة، لا في صيغة محددة وإنما في إشارات متفرقة. وعندما نتحدث عن عقيدة الثالوث فأننا لا نخرج عن دائرة الكتاب ولكننا نجمع شتات هذه الإشارات في مفهوم عقائدي واضح. وقد نعبر عن هذه العقيدة بأسلوب فلسفي وبعبارات فنية لكنها لا تخرج بذلك عن كونها عقيدة كتابية. (دائرة المعارف الكتابية، ط3، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية)، ج1، ص327).

5. ينسب إلى ترتليان كونه أول من عرّف الثالوث بوضوح، وهذا في كتابه ضد باركسياس Parxeas حيث قال: «أؤمن أنه يوجد جوهر واحد في الثلاثة»، ويرى اللاهوتيون المسيحيون

اللاتينية «Trinitas»[1]؛ والتثليث من أقدم المعتقدات الوثنية، فقد أجمع المحققون من الأركيولوجيين ونقاد الكتاب المقدس على وجود هذه العقيدة في الحضارات السابقة لولادة المسيح عليه السلام، يقول برتشرد: «لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو الواحد الثلاثي»[2].

وبعد هذا العرض الموجز لعقيدة التثليث حسب اللاهوت المسيحي، نعرّج على العرض القرآني لعقيدة التثليث.

ثانيا. العرض القرآني لعقيدة التثليث حسب المفسرين

عرض القرآن الكريم موقفه من النسق التثليثي في آيتين كريمتين هما:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تقولوا ثلاثة ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[3].

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾[4].

ذكر عزّ وجل أن النصارى أفرطوا في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء ألوهيته، ورفعوه فوق المنزلة التي أوتيها، وهي الرسالة، وقد نبه الرسول ﷺ إلى حرمة الغلو في الدين بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى

أن هذا الكلام لا يعني كون عقيدة التثليث دخلت حيّز الوجود عند هذه النقطة من التاريخ. (ميلتون فيشر: قانونية العهد الجديد، -قصة الكتاب المقدس-، ترجمة: ندى بريدي، ط1، (القاهرة: دار الثقافة، 2012م)، ص58).

1. قاموس الكتاب المقدس، ص232.
2. محمد علي برو: الكتاب المقدس في الميزان، (بيروت: الدار الإسلامية، 1993م)، ص334.
3. النساء/ 171.
4. المائدة/ 73.

ابـن مريم، فإنـما أنا عبد الله ورسـوله»[1].

فقـد أمـر عزّ وجـل بأن لا يوصـف بما يسـتحيل اتصافه به، مـن الحلول والاتحـاد والولـد والصاحبـة والقول بالتثليث[2]؛ فقال عزّ وجل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ و﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، وقـد فسـرت هاتين الآيتين عـلى وجهين:

الأول: ولا تقولـوا إن الله سـبحانه **واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم**، الأب هو الـذات والابـن هـو الكلمـة، الروح التـي هي الحيـاة، وأن الأب إلـه والابن إلـه والـروح إلـه والكل إلـه واحـد[3]، أو لا تقولـوا الله ثلاثة أقانيـم كل منها عـين الآخـر وكل واحـد منها إلـه كامـل ومجموعها إلـه واحد[4].

ويـرى الـرازي بـأن الأقانيـم في الآيتين غـير الصفات، بـل ذوات قائمة بأنفسـها فلهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ﴾، فإن حملنا الثلاثة على أنهـم يثبتـون لله صفات ثلاثـة، فهذا مما لا يمكـن إنكاره، فتعـدد الصفات لو كان كفـرا للـزم رد جميـع القـرآن ولزم رد العقـل، فمن المعلـوم بالضرورة أن المفهـوم مـن كونه تعـالى عالما غير المفهـوم من كونـه تعالى قـادرا أو حيا[5].

الثاني: أن الآيتين معناهما لا تقولوا إن آلهتنا ثلاثة، الأب والابن مريم أو

---

1. أخرجه البخاري، من طريق ابن عباس، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: «واذكر في الكتب مريم...» (مريم/ 16) انظر محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت 258هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز) بيروت: دار المعرفة، ت [ ]، ج6، ص476. وأحمد بن حنبل (142هـ)، عن عمر، كتاب: العشرة المبشرين بالجنة. (المسند، ط [ ]، دار الفكر، ت [ ] ج1، ص23، 24 ومحمد بن عبد الرحمن الدارمي (255هـ)، ك: الرقاق، بـ: قول النبي ﷺ، لا تطروني، السنن، تحقيق وتخريج: السيد عبد الله هاشم، (باكستان: حديث أكاديمي، 1984م)، ج2، ص228-229.

2. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط [ ]، (تونس: الدار التونسية للنشر 1984 المؤسسة الوطنية للكتاب ت [ ])، ج 6-7، ص72.

3. أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت 606هـ): التفسير الكبير، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج12، ص60.

4. محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، (بيروت: دار المعرفة، ت [ ])، ج6، ص86.

5. الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج11، ص116.

أن الله أحد ثلاثة آلهة، الله والمسيح ومريم[1]، وينبىء عنه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2].

وبعد أن بين عزوجل كفر من قال بالتثليث قال: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وأيضا: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

أي إنهم قالوا ذلك بلا روية، والحال أنه ليس في الوجود ثلاثة آلهة ولا أكثر ولا أقل بل يوجد إله واحد متصف بالوحدانية، وهو الله الذي لا تركيب في ذاته ولا تعدد. ودليل الوحدانية في الآية الثانية أشد تأكيدا لنفي تعدد الآلهة من عبارة ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، لن من بعد ما تفيد استغراق النفي وشموله لكل نوع من أنواع المتعدد وكل فرد من أفراده، فليس هناك تعدد ذوات وأعيان ولا تعدد أجناس وأنواع ولا تعدد جزيئات وأجزاء[3].

فهذا ما قاله المفسرون عن الموقف القرآني من عقيدة التثليث، أما المفكرون المسلمون فلم يولوا اهتماما كبيرا للتثليث في القرآن الكريم، ولم يتناولوه بالدراسة كما يجب بالرغم من أنه يحتوي على حجج قاطعة تنفي عقيدة التثليث وتقتلعها من جذورها كما سنرى لاحقا، وكان أغلب المفكرين المسلمين يرون ضرورة مواجهة عقيدة التثليث بالأدلة العقلية، يقول عبد المجيد شرفي في هذا الخصوص:

«... إلا أن ما يلفت الانتباه حقا هو الغياب المطلق في جميع الردود الإسلامية على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر بلا استثناء للاستشهاد بالقرآن لدحض عقيدة التثليث المسيحية... فقد أخضعوها

1. الرازي: المصدر السابق، ج11، ص116، ج12، ص60. ومحمد جمال الدين القاسمي (ت 1914م): محاسن التأويل، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (دار إحياء العربية، 1957م)، مج5، ص1765(وشهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت 1270هـ): روح المعاني في تفسير السبع المثاني، ط[ ]، ( )(مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ت[ ])، ج3، ص200.
2. المائدة/ 116.
3. محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج6، ص483.

لنقد عقلي ومنطقي صارم»[1].

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن المفسرين اهتموا بشرح الآيتين أكثر من محاولتهم فهم المنهج القرآني في نقد عقيدة التثليث. فقد أكدوا على أن القرآن الكريم لم يتكلم عن الصفات -هذه اللفظة التي كثيرا ما استعملها المفكرون المسلمون على أنها المقابل للأقانيم- وإنما تكلم عن ثلاثة آلهة كل إله منفصل عن الآخر. كما أن المفسرين رجحوا أن يكون الثالوث الله، المسيح، ومريم. وهذا التفسير لم يعرض لنا الدليل بطريقة متسلسلة ومنطقية؛ ويبدو واضحا خلط عقيدتين نصرانيتين لدى المفسرين المسلمين، عقيدة الثليث، وألوهية مريم (أم الإله، ثيوذوكس)، وهي محاولة توفيقية منهم، للربط بين الآيتين الكريمتين وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ «المائدة/ 116».

ثالثا. الشبه المثارة حول النقد القرآني

أثار عرض القرآني لعقيدة التثليث النصرانية شبها كثيرة في الأوساط النصرانية، فهذا Henri Michaud يذكر بأن القرآن بث في الوسط الإسلامي، خطأين محوريين حول عقيدة التثليث.

الأول: هو جعله التثليث ثالوثا (Triade [2]Trithéisme).

الثاني: جعله مريم ثالث شخص في الثالوث المسيحي[3].

---

1. عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر، ط [ ]، (تونس : الدار التونسية للنشر، 1986م)، ص253، هذا لا ينفي اعتماد بعض الرادين على الموقف القرآني مثل القاضي عبد الجبار وابن تيمية كما سنرى لاحقا، فالمقصود هو عدم تناول الموقف القرآني بالدراسة، وبالتالي عدم الوقوف على أبعاد الرد القرآني على عقيدة التثليث، مما أدى إلى عدم الاعتماد على الموقف القرآني في الردود.

2. لهذه الكلمة مدلول آخر، حيث تعتبر في الفكر المسيحي هرطقة -بدعة- خاصة بمن قال أن الله ليس ثلاثة أقانيم فقط، بل ثلاثة جواهر، ثلاثة طبائع إلهية، أو ثلاثة آلهة.
(Bergier (Nicolas-Sylvestre, M.) : Encyclopédie méthodique, (Paris: Panckoucke, 1790), Volume 3, p.710)

3. Jésus selon le Coran : cahiers théologiques n° 46, (de la chaux et Nirstlé, S. A. Neuchâtel 1960), p.8

ويضيف هذا الكاتب بأن القرآن اتجه إلى محاربة الثالوث أكثر من محاربة التثليث، وهذا واضح في سورة المائدة الآية 73، فقد ذكر القرآن بأن الله ثالث ثلاثة، وقيمة كلمة (ثالث) لا تكمن في كون الله مرتب بحيث يكون الثالث بعد اثنين، بل تعني أن الله إله بين ثلاثة آلهة، ويدعم ذلك ما جاء في سورة المائدة آية 116.

كما أن الرسول محمد ﷺ في رأي Henri Michaud، أخذ القول بالثالوث من Jean Philipen، وهو عالم ولاهوتي إسكندري توفي عام 580م، والذي كان يرى أن الله ثلاثة أشخاص أو أقانيم لها ثلاث طبائع إلهية، كما أن في القرن السادس كانت عقيدة التثليث تنحو نحو الثالوث Le Trithéisme.[1]

ويضيف بأن مكانة مريم في الثالوث ليست من اختراع محمد، فعند بعض اليهومسيحيين كانت مريم تدعى الروح القدس، فهو تمثيل سهل في البيئة السامية، خاصة لأن كلمة الروح القدس عندهم مؤنثة، وعلى سبيل المثال جاء في إنجيل العبرانيين L'évangile des Hébreux « في الحال أمي الروح القدس أمسكتني من شعري» [2].

ويعتقد هذا الكاتب، بأن هناك عوامل كثيرة أثرت في محمد ﷺ، منها مكانة مريم عند النصارى الشرقيين، واتصال النصارى الحبشيين (D'abyssine) بمعتنقي الإسلام الأوائل أثناء السنوات القاسية التي مرت بهم في مكة، بالإضافة إلى شأن مريم الكبير في بعض الكنائس، الذي بلغ شأن إيزيس، وأهميتها البالغة عند بعض الفرق[3]؛ فكل ذلك أثر في محمد حتى جاء «بالفكرة الغربية التي كون بها الثالوث المسيحي: الله، المسيح، مريم» [4].

1. Jésus selon le Coran, Op. Cit., p.80-81.
2. E, Henneche : Neutestomentliche Apokryphen, d'après, Henri Michaud : Jésus selon le Coran, p.108.
3. خاصة عند les collyridiennes، وهي فرقة معروفة في المنطقة العربية في القرن الرابع.
Henri Michaud : Jésus selon le Coran, p.28
4. Ibid, p.82

ويذكر توماس ميشال اليسوعي، أن المسيحيين قبل ظهور الإسلام، كانوا منتشرين بكثرة في أطراف الجزيرة العربية[1]، إلا أنهم كانوا قلة في الحجاز، وقد وقفت مكة -معقل الوثنية في الجاهلية- عقبة دون انتشار المسيحية هناك، والمسيحيون القلائل الذين عرفوا في الحجاز لم يكونوا متجذرين في دينهم، كما أن الأسفار المقدسة لم تكن قد ترجمت إلى العربية[2]، مما أدى إلى عدم وضوح المسيحية عند العرب.

وقد كان في الجزيرة العربية قبل الإسلام الثالوث السامي التقليدي، ومع أن القبائل لم تطلق على تلك الآلهة الوثنية الأسماء نفسها، إلا أن الهيكلة الأساسية كانت على النحو التالي[3]:

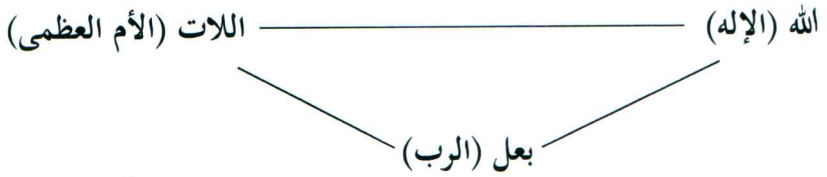

ويبدو أن ذلك المفهوم الوثني للثالوث راق لبعض العرب الحديثي الاهتداء إلى المسيحية، فخلطوا بين الله (الإله العلي) والأب، وبين مريم والأم العظمى، وبين المسيح والرّب المولود في الجسد من الله ومريم[4].

1. في البادية، سورسة، سيناء، اليمن، وما بين النهرين، (توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص68).

2. المرجع نفسه، ص68.

3. Triminghame :christianity in Arabia before the time of Muhammad. D'après : توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة: كميل حشيمة اليسوعي، ط [ ]، (بيروت: دار المشرق، 1992م)، ص86.

4. حاول الكاتب انتقاد عرب الحجاز لتأثرهم بالثالوث السامي الله/ بعل/ اللات، ولجعلهم ثالث أقنوم أو إله هو مريم والنصارى إلى حد اليوم يشبهون الروح بالأم ويقولون أنها أم الأسرة الثالوثية.

يقول فاضل سيداروس: «فالروح بالنسبة للثالوث كالأم بالنسبة للأسرة... فإن الأب يلد في أحشائه الأبوية، أي في روح القدوس» «ويشبه الروح القدس أما ممتلئة حنانا، فكما الأم تحب طفلها وتحميه هكذا يحمينا الروح القدس»... سر الثالوث-الأحد، ص89، ص91.

فالنصارى لم يستطيعوا التخلص إلى يومنا هذا من الثالوث الوثنية، وحاولوا وضع شيء غير

ويضيف الكاتب بأن القرآن انتقد هذا الثالوث وأنكر أن الله أنجب ولدا، وأن مريم ويسوع إلهان إلى جانب إله ثالث هو الله، أو أن الله ليس سوى واحد من ثلاثة آلهة.

ويقول الكاتب «وهنا أشير إلى أمر يلفت انتباهي أنا المسيحي عندما أطالع القرآن الكريم، فإني لا أجد فيه أي ذكر لما تعلمه الكنائس المستقيمة الرأي عن طبيعة الله مثلث الأقانيم، وهذا ما لا نستغربه، إذ القرآن شجب معتقدا بدائيا لأناس مشركين عاشوا في الحجاز آنذاك، واعتنقوا بعضا من الديانة المسيحية، فشوّهوه وهذا المعتقد ترفضه الكنائس المسيحية على نحو ما يرفضه القرآن»[1].

ويظهر من رأي Henri Michaud وتوماس ميشال، أن هناك ثلاثة شبه مثارة حول الموقف القرآني.

أوّلها: أن محمدا ﷺ سمع تعاليم النصرانية من طرق مختلفة، أهمها الكتاب المقدس[2].

ملموس وهو «الروح القدس» مكان الأم، ووصفوها بكل ما يجعلها أما، فهم يعتقدون بشكل أو بآخر بأن الثالوث أب و إبن وأم شأنهم شأن عرب الحجاز.

1. توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص68-69.

2. إن الكلام عن تأثر محمد ﷺ، بالكتاب المقدس هو من باب الافتراء والتضليل، فلم يثبت أن كان في مكة أو ضواحيها أي مركز ثقافي ديني ليقوم بنشر فكرة الكتاب المقدس، بالإضافة إلى أنه لم توجد في الثقافة والبيئة الجاهلية ترجمة عربية للكتاب المقدس، فحتى القرن الرابع الهجري، لم تكن قد وضعت ترجمة عربية له، وعليه «فلا شيء أقل احتمالا من وجود تأثير ... في البيئة الجاهلية، لانعدام المصادر اليهودية المسيحية المكتوبة فيها، ليصبح من المستحيل أن نقول بإمكان حدوث امتصاص لا شعوري للذات المحمدية في هذا الوسط الجاهلي» (مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم: عبد الله دراز، محمود محمد شاكر، ط4، دمشق: دار الفكر 1987م) (ص256-258). وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس، بأن أقدم ترجمة للكتاب المقدس ترجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد، وقد اكتشف حديثا كما أن إسحاق فالكيز ترجم عام 964 في قرطبة إنجيل لوقا إلى العربية، ونقل سعديا جاوت أو سعيد الفيومي (892-942م) العهد القديم من العبرانية إلى العربية لمنفعة يهود المشرق، وقد قام هبة الله ابن العسال بترجمة الكتاب المقدس من القبطية إلى العربية وذلك حوالي سنة 1250م، (قاموس الكتاب المقدس، ص771). فكل ذلك يدل على استحالة معرفة الرسول ﷺ بالكتاب المقدس.

ثانيها: أن القرآن الكريم ردّ على الثالوث Le Trithéisme أو Le triade، ولم يرد على عقيدة التثليث La trinité.

ثالثها: أن القرآن اعتبر التثليث المسيحي مكوناً من الله والمسيح ومريم.

فالشبهتان الثانية والثالثة خاصتان بعقيدة التثليث، ولهذا آثرنا تناولها بالدراسة والرّد عليهما متسائلين هل انتقد القرآن الكريم عقيدة التثليث النصرانية في الآيتين السابقتين؟ وهل حقا اعتبر مريم طرفا في التركيبة الثالوثية؟

المطلب الثاني: رد القرآن الكريم على التثليث النصراني وألوهية مريم

أولا- الرّد على عقيدة التثليث

إن القرآن الكريم لم يكن يرد في الآيتين السابقتين على الثالوثات الجاهلية فحسب، بل تعرض لعقيدة التثليث النصرانية، وانتقدها وكفّر القائلين بها، ولقد بحثنا كثيرا عن ردود للشبه المثارة حول الموقف القرآني في مصادر ومراجع كثيرة، لكننا لم نعثر على أي رد، وهذا راجع إلى عدم تناول الكتاب المسلمين هذه المسائل بالدراسة، مما جعلنا نجتهد في وضع هذه الردود لما للموضوع من أهمية:

1. إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ وأيضا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، حسب بعض المفسرين قد يفهم منها أنه تعالى كفّر من قال إن الله واحد في ثلاثة أقانيم، والحال أنه ما من إله إلا إله واحد.

كما أن قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾، خبر لمبتدأ محذوف كان حذفه ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهب النصارى فيحتمل أن يكون المراد من الآية: لا تقولوا ثلاثة أقانيم في إله واحد انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد[1].

2. إن القرآن الكريم عقب على قول النصارى في الآيتين بمايلي: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، فتكرر الاستدلال بالوحدانية في الآيتين لنفي

1. محمد الطاهر بن عاشور: التحوير والتنوير، ج 6-7، ص72.

التثليث، وإذا رجعنا إلى اللغة، وجدنا الواحد من بين معانيه: «الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام، ومنفرد في الذات ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عزوجل»[1].

وفي الاصطلاح، نجد معنى الوحدانية «سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، سواء الكمية المتصلة والكمية المنفصلة، فهو سبحانه ليس مركبا من أجزاء ولا مكونا من جزئيات، وكذلك صفاته... فليس له سبحانه وتعالى مثلا علمان أو قدرتان بحيث تتمم واحدة منهما الأخرى، فهذا هو نفي الأجزاء عنها، وليس لغيره سبحانه وتعالى علم كعلمه، أو قدرة كقدرته، فهذا نفي الجزئيات عنها»[2].

ومن التعريفين نجد أن الواحد لا يتجزأ ولا يتركب، وعليه، فقد يكون المولى عز وجل رد على من قال بأن الله إله واحد مكون من ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح.

ونفهم من الآيتين في ضوء ما تقدم كما يلي:

أ. لا تقولوا ثلاثة أقانيم في إله واحد، انتهوا خيرا لكم، إنما الله إله واحد لا يحتمل التجزئة.

ب. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث أقانيم ثلاثة، ويقصد هنا أقنوم الأب[3] وما من إله إلا إله واحد منفرد في ذاته غير مجزأ ولا مركب.

ج. إن قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4] لهو من أقوى الأدلة على أن المقصود في الآية، انتقاد عقيدة التثليث وإظهار أنها ثالوث، شأنها شأن الثالوثات البدائية.

---

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم، ابن منظور (ت 711هـ): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط [ ]، القاهرة: دار المعارف، ت [ ]، ج6، ص4781.
2. محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيان الكونية، ط8، (دمشق: دار الفكر، 1987م)، ص111.
3. سنعرف في الدليل اللاحق أن الله عند النصارى هو الأب.
4. المائدة/ 73.

فلو فهمنا أن المقصود في الآية هو تثليث الأقانيم، لكان معنى الآية أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ولا أحد من النصارى يصرح بأن الله أقنوم بل يرون أنه الأب والابن والروح القدس.

ولو رجعنا إلى النصوص النصرانية لو جدنا أن «الأب» هو «الله».

جاء في إنجيل متى: «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون»[1] وأيضا: «صلوا لأجل الذين يسيؤون إليكم ويطردكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»[2].

فالملاحظ أن الأب هو الله في نصوص النصارى، وقد كان اليهود أيضا يدعون الله «الأب» ويدعون شعبهم ابن الله[3]، جاء في سفر الخروج: «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب، إسرائيل ابني البكر»[4]، وجاء أيضا: «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد له بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنّهم حسنات»[5].

ولو عدنا إلى كتابات النصارى أنفسهم، لوجدناهم يعترفون بأن الأب هو الله، فهذا أحدهم يتساءل عن معنى كلمة (أب) قائلا: فماذا كان يعني يسوع بكلمة «الأب» ثم يجيب بعد عدة مقدمات: «فأبوه السماوي هو رب موسى الذي خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع»[6]. ويضيف في مكان آخر «في ضوء هذه الرؤية يلوح لي أن «الأب» الذي تكلم عنه يسوع لم يكن الروح الكوني المنزه عن الصفات والحالات، بل كان الرب المسؤول عن عالمنا الشمسي بالدرجة الأولى وعن الإنسان الذي هو زهرة ذلك العالم»[7].

1. 9/ 5.
2. متى: 45/ 5.
3. توماس ميشال: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص55.
4. 22/ 4.
5. تكوين، 1/ 6.
6. ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ط2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981م)، م9، ص242.
7. المصدر نفسه، ص244.

ويظهر مما تقدم أن الأب هو الله عند النصارى، وهذا حسب نصوص النصارى أنفسهم، كما هو الشأن عند اليهود وعليه فالله عزوجل، ينتقد منطق النصارى بطريقة استدلالية رائعة تتضح صورتها كالآتي: لقد كفر الذين قالوا إن الله (الأب) ثالث أقانيم ثلاثة: الأب والابن والروح القدس، فكيف يعقل أن يكون الله أقنوما واحدا ثم يكون هو الكل، فهذا كفر أي ستر وتغطية الحقيقة وإظهارها بصورة أخرى.

ويمكن التعبير عن الدليل القرآني بالتالي:

قول النصارى: **الله = أقنوم الأب + أقنوم الابن+ أقنوم الروح القدس.**
الله إله = الأب إله + الابن إله+ الروح القدس إله.

الرد القرآني: **الله = الأب + لا شيء + لا شيء**، وعليه فالنصارى عبدوا، الله وإلهين آخرين.
الله (الأب) + الابن (إله) + الروح القدس (إله) = ثلاثة آلهة.

والشيء الملفت للانتباه أن القرآن الكريم استعمل كلمة «قالوا» والنصارى يقولون أنهم لم يصرحوا بذلك أبدا، كما تقدم حين عرضنا رأي Henri Michaud، لكننا حين عدنا وبحثنا في نصوصهم، وجدناهم قالوا ذلك حقيقة.

وقد استعمل القرآن الكريم نفس المنهج في نقد عقيدة التجسد، إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1]، والنصارى ينكرون ذلك مطلقا ويقولون أن المتجسد هو أقنوم الابن وليس الله، وأن الله ليس المسيح، بل هو «الأب والابن (المسيح) والروح القدس، وحين بحثنا في نصوصهم وجدنا أنهم قالوا ذلك حقيقة، حيث جاء في إنجيل يوحنا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[2]، فكأن القرآن الكريم يوجهنا للعودة لنصوصهم في نقد عقائدهم.

1. المائدة/ 72.
2. إنجيل يوحنا: 1/ 1

وعليه فالنصارى عبدوا الله (الأب) ومعه إلهين آخرين هما الابن، والروح القدس، وبالتالي فتثليثهم في حقيقته ثالوث لهذا قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾.

فالآية فيها عرض واستدلال ونقد في آن واحد، وتبرز لنا منهج القرآن الفريد الذي قد يأخذه البعض بدون تعمق كما حدث مع Henri Michaud وتوماس ميشال وغيرهم، ففهموا أن القرآن أخطأ إذ اعتبر عقيدة التثليث ثالوث، في حين نجد القرآن قد انتقدهم من نصوصهم، وبيّن **أن الله هو الأب فقط**، وأنهم ستروا الحقيقة وقالوا بأنه أب وابن وروح قدس، وما داموا عبدوهم جميعهم، فقد عبدوا ثالوثا من الآلهة، لا صلة لهم ببعضهم البعض لأن الله (الأب) وحده الإله الحقيقي.

د. إن الدليل على أن القرآن تناول عقيدة التثليث وليس الثالوث Trithéisme، نجده في السياق القرآني في سورة النساء، بدأ إذ بدأ تعالى بمعاتبة أهل الكتاب، لأنهم غالوا في دينهم ولم يقولوا على الله الحق، فقالوا هو أب والمسيح كلمته المتجسدة والروح القدس إله، وكل هذه الأقانيم إله واحد، فبيّن عز وجل حقيقته وحقيقة الكلمة والروح القدس بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾[1]، فالآية إذن انتقدت عقيدة التثليث، وبينت حقيقة الأقانيم النصرانية، ثم دعت إلى الإيمان بالله وحده ورسله دون تأليههم، وأن لا يقولوا إن الله ثلاثة أقانيم في إله واحد.

وقد رد الرسول ﷺ أيضا على عقيدة التثليث بقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله

1. النساء/ 171.

الـه الجنة عـلى ما كان مـن العمل»[1].

فهـذا العـرض مـا هـو إلا تصحيـح للمعتقـدات الخاصـة بالأقانيـم، وبالتـالي بعقيـدة التثليـث، وعـلى ذلـك يمكـن القـول أن القـرآن انتقـد كل معتقـد مـن شـأنه أن يعـدد الإلـه أو الآلهـة.

ثانيا. الموقف القرآني من ألوهية مريم

لقـد رأى البعـض، أن القـرآن الكريـم، تأثـرا بعـدة عوامـل، اعتـبر التثليـث النـصراني ثالوثـا مكونـا مـن: **الله والمسيح ومريم**، وقـد سـاعدهم في ذلـك رأي بعـض المفسريـن في قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، إذ رأوا أنهـا مفـسرة لقولـه تعـالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[3] فقالـوا الثلاثـة هـم الله والمسـيح ومريـم[4].

وهـذا القـول يضعنـا أمـام إشـكاليتين الأولى: هـل اعتـبر القـرآن مريم إلهـة؟؟ والثانيـة: هـل اعتبرهـا ثالـث آلهـة ثلاثة؟؟

وللإجابـة عـن هاتين الإشـكاليتين لابد من المـرور بعدة مراحـل، أولها معرفـة تفسـير المفكريـن المسـلمين للآيـات التـي تذكـر ألوهيـة مريـم، ثـم معرفـة إن كانـت مريم عبـدت حقا وهذا بعـرض عقيدة النصـارى في مريم، ثـم في الأخـير نرى إن كان القـرآن يرد على عقيـدة النصـارى في مريم أم على عقيـدة التثليـث النصرانية؟

---

1. أخرجه البخاري، في الأنبياء، باب: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم» أنظر الفتح، ج6، ص474. وأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشري (261هـ)، كتاب الإيمان: باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، (صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت [ ]، ج1، ص58. وأحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، بلفظ مختلف، م3، ص174-175).
2. المائدة/ 116.
3. المائدة/ 73.
4. راجع: الرازي: التفسير الكبير، ج11، ص116، القاسمي: محاسن التأويل، ج5، ص1765، الألوسي: روح المعاني، ج3، ص200.

1. ألوهية مريم في الفكر الإسلامي:

لقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن مريم ثالث إله دون أي مبرر سوى ما جاء في سورة المائدة، وقد أدرك البعض الآخر أن النصارى لم يؤلهوا مريم فحاولوا إيجاد المخرج.

فقال ابن الجوزي: «فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرا، وإنما ولدت إلها، لزم أن يقولوا إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله»[1].

أما الألوسي فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ مايلي: «استشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحدا من النصارى اتخذ مريم عليها السلاّم، وأجيب عنه بأجوبة»[2].

الأول: أنهم جعلوا عيسى عليه السلام إلها، لزمهم أن يجعلوا والدته أيضا كذلك، لأن الولد من جنس من يلده، فذكر إلهين على طريق الإلزام لهم.

الثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3]، لما أنهم عظموهم تعظيم الرب.

الثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال ذلك[4].

وهذه التفسيرات ما هي إلا محاولات لتبرير قوله تعالى بألوهية مريم، ولم تبحث في حقيقة ألوهيتها، ولا في منهج القرآن الكريم في الرّد على عقائد النصارى في مريم.

---

1. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1، (بيروت دار الفكر للطباعة والنشر 1987م)، م2، ص226.
2. روح المعاني، ج3، ص200.
3. التوبة/ 31.
4. الألوسي: المرجع السابق، ج3، ص200.

وقد ذكر هذه الإشكالية بعض مفكري الإسلام[1]، وقال عبد المجيد شرفي عنها: «وهي لعمري ظاهرة جديرة بالاهتمام، وتتنافى مع الرأي الشائع عند النصارى إلى اليوم من أن المسلمين يظنون إلزاما منهم بما جاء في كتابهم المقدس أن الثالوث المسيحي يتكون من الله ومريم وعيسى»[2].

وقد ذكر الكاتب أثرين تناولا هذه الإشكالية.

أما الأول فهو رد الحسيني الزبدي، وجاء فيه أن قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾، «توبيخ لمن أفرد المسيح دون أمه في العبودية والإلهية، وحالهما في الذات حال واحدة مستوية، فعبدوه عماية وجهلا دونها، فلا يشكون أن أباها أبوه، فهي وآباؤها أولى منه بما أعطوه، إذ كان لولا جهودهم لم يولد، فكيف يعبدونه دونهم»[3].

وأما الثاني فهو للقاضي عبد الجبار في كتابه تثبيت دلائل النبوة، وهو يرى أن الآية لا تفيد إخبارا بل احتوت فقط على استفهام، القصد منه تبرئة ساحة عيسى مما نسب إليه، وفيه تقرير لاستخراج الجواب من المسؤول، وهذا كقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[4]، وهو عزوجل أعلم بذلك من موسى. ويضيف القاضي بأن من النصارى من قال بألوهية مريم وإن لم يصرح بلفظه، لأنهم قالوا إن مريم صفت حين قبلت الجوهر الإلهي وولدته[5].

بالإضافة إلى ما ذكره عبد المجيد الشرفي، نجد ابن تيمية قد تناول ألوهية مريم بالدراسة، وقال بأن من النصارى من اتخذها إلها وعبدها

1. أمثال الجاحظ الذي طرح الإشكال، لكنه لم يعط له حلا. راجع، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1،)بيروت: دار الجيل، 1991م، ص53-54.
2. عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص253.
3. المرجع نفسه، ص253.
4. طه/ 17.
5. عبد الجبار أحمد الهمداني (ت 415هـ): تثبيت دلائل النبوة، تحقيق وتقديم: عيد الكريم عثمان، ط [ ]، بيروت: الدار العربية، ت [ ]، ص145.

كما عبد المسيح، وقد كان كثير منهم يطلب منها كل ما يطلبه من الله، فيطلب منها المغفرة والرحمة، والشفاعة، ويقول ابن تيمية بأن، «الله لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل المسيح سؤالا يقرع به من اتخذه وأمه إلهين من دون الله»[1].

فهذه هي الإشارات الوحيدة التي عثرنا عليها بخصوص إلهية مريم، وهي في الحقيقة لم تبحث في لب المعتقد الذي أشار إليه القرآن «عقيدة النصارى في مريم»[2]، بل حاولت تبرير قوله تعالى بألوهية مريم بأدلة مختلفة، وحتى تصل إلى المغزى القرآني، وإلى حل الإشكال، ومنها معرفة ما إذا كانت مريم طرفا في الثالوث أم لا، نعرض عقيدة النصارى في مريم ثم موقف القرآن بعد ذلك.

2. عقيدة النصارى في مريم:

إن للنصارى عقيدة خاصة بمريم، فقد قدسوها، ووضعوها في مصاف الآلهة ويظهر ذلك من النقاط التالية:

أ. **أزلية مريم**: يعتقد النصارى أن مريم موجودة منذ الأزل وقد اختارها الله لتكون أم الإله، ويظهر هذا المعتقد في الطقوس الكنسية الخاصة بها، إذ يرددون ما جاء في سفر الأمثال: «الرب قناني أول طريقة من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غمر أبدئت... فرحة من مسكونة أرضه ولذاتي مع بني إسرائيل»[3]، فهي إذا مهيأة منذ الأزل لحمل الكلمة الإلهية[4].

ب. **صفات مريم**: يرى النصارى أن مريم استحقت أن تكون أم الإله لأنها خاشعة، مؤمنة، متواضعة، مطيعة، تقية فضلة، وهي أم المسيح ولدته

1. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط [ ]، مطابع المجد التجارية، ت [ ]، ج3، ص42-43.
2. لقد أشار القاضي عبد الجبار دون غيره من العلماء إلى مكانة مريم عند النصارى، وأنها ترقى إلى مرتبة الألوهية (راجع، ص145 من كتابه تثبيت دلائل النبوة)، لكنه استبعد أن يكون في الآية إخبار، بل أنها تفيد الاستفهام، وهذا ما لا يحل الإشكال.
3. 31-22/ 8.
4. L. Garriguet : **la vierge marie**. Edition (5). (Paris : Pierre Téqui libraire-éditeur. 1924) p.9-13.

في الزمن، وهي أرقى من كل المخلوقات وليس أعلى منها إلا الاتحاد الثالوثي[1].

ج. **علاقة مريم بالثالوث**: إن لمريم علاقة وثيقة بالثالوث، فهي التي مكنت الأب من أن يظهر أبوته الأزلية ومساواته للابن، كما مكنته من إظهار حقيقته وجوهره للناس.

وأما علاقتها بالابن فهي التي مكنته من الوجود الجسدي، وأعطته القدرة على تحقيق العدالة الإلهية، من خلال حياته البشرية كما أعطته القدرة على مغفرة الخطايا.

وعلاقتها بالروح القدس تكمن في مساهمتها في عملية التجسد، فالروح القدس وضع الكلمة بقدرته الإلهية في رحم مريم وهي غذته من دمها[2].

ويردد المصلون أمام أيقونة [3] مريم ثلاث جمل تظهر مدى علاقتها بالتثليث المسيحي وهي كالآتي:

السلام عليك مريم بنت الأب الأزلي

السلام عليك مريم أم الكلمة

السلام عليك مريم زوجة الروح القدس

وقد أطلقوا عليها اسم «سيدة الثالوثات»، la dame de la trinité[4].

د. **علاقة مريم بالبشر**: إن لمريم علاقة وثيقة بالبشر فهي **الملكة والوسيطة والأم.**

1. Ibid, p. 42-53.

2. Ibid, p56-64. et Glavis de provin : **Notre dame de la trinité. D'après la théologie, l'art et la mystique**, 4ème édition (France : Bloie . Belgique : Gembloux.1932). p.13.

3. كلمة يونانية الأصل تعني الصورة، وقد استعمله التقليد المسيحي الشرقي للدلالة على صور المسيح والعذراء مريم، والقديسيين، ويعتقد النصارى أن الأيقونة انعكاس لحقائق العلم الممجّد لدى الله، في عالم المحسوسات. (صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، الدراسة المسكونية: جان كوربون، ط1، بيروت: دار المشرق بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م)، ص86.

4. Notre dame de la trinité, Op. Cit., p.177.

الملكة: لأنها أم الملك الذي تنحني له الرؤوس، لهذا لها حقوق على جميع المؤمنين، فولدها جعلها ملكة لكل الطبيعة.

الأم: لأن أمومتها للمسيح جعلتها جديرة بأن تتوسط بين الله والناس، فهي أم الناس القادرة على الاهتمام بشؤونهم والدفاع عنهم، وهي أم الكلمة المتجسدة التي أعطتها الحق في أن تكون مسموعة من الله ومجابة، ويسميها النصارى «أمنا» Notre mère لأنها منحتهم حسب زعمهم حياة الأرواح، فخطيئة آدم تسببت في حرمان البشرية من الغفران، ولكن مريم أعادت الحياة إلى البشر، بإطائهم المسيح مصدر الغفران [1].

وقد سميت مريم بأم الإله في مجمع أفسس سنة 431 حيث دعيت theo tokos [2] أم الإله.

الوسيطة: لأن أمومتها جعلتها جديرة بلعب دور هام بين الله والناس، فهي أم الناس القادرة على الاهتمام بشؤونهم والدفاع عنهم، لهذا هي الوسيط بين السماء والأرض، فهي في السماء الآن ودائما القناة التي تعبر من خلالها كل الدعوات والطلبات، وترد من خلالها الإجابة.

وهي المحامية التي تمثل التماسات البشر بعد أن ترافع وتبين أسباب الخطأ لله [3]، وتلتمس الرحمة من البؤس والشقاء، وتهدي إلى الله الأعمال

1. Garriguet: **la vierge Marie**, p.62-63.

2. كان Cyril كبير أساقفة الإسكندرية، قد وصف مريم في موعظة له في أفسس سنة 431م، بكثير من العبارات التي كان الوثنيون من أهل تلك المدينة يصفون بها إلهتهم الكبرى «أرتميس - ديانا» artimus-diana، ووافق مجلس أفسسس في تلك السنة أن تلقب مريم «أم الإله» على الرغم من احتجاج نسطوريوس Nestorius، وما لبث أن جمعت صفات كل من عشتروت وأرتميس وإيزيس كلها في مريم، وقد قررت الكنيسة في القرن السادس، إقامة احتفال بعيد صعود العذراء إلى السماء، وحددته باليوم الثالث عشر من شهر أغسطس، وهو تاريخ عيدين قديمين لإيزيس وأرتميس. (ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، ط[ ]، (بيروت: دار الجيل، ت [ ])، ج 16، ص29-28).

3. إن النصارى أعطوا لمريم حق التدخل في شؤون الله عزوجل، وكأن الله لا يعلم أسباب الخطأ حتى تلتمس منه الغفران، فقد صدق عزوجل حين قال: ﴿... ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. الزمر/ 3، فما مريم إلا صنم في ثوب إمرأة وما النصارى إلا عبدة أصنام، شأنهم شأن

الطيبة التي يقوم بها البشر، وتقوم بحماية البشر من سخط الله، وتهتم قبل كل شيء بتزويد البشر بالطمأنينة الروحية، وتزودهم بالخير المادي كالصحة والمجد والسلم والسعادة.

وهذا كله ما هو إلا جانب من دورها فهي بالإضافة إلى كونها وسيطة بين البشر والله، هي كذلك بين الله والبشر[1]، فالله مكنّها من عطاياه، فهي **كانزة ثرواته** -العلم والمادة- والمسؤولة عن توزيعها بالعدل بين البشر[2].

ومما تقدم نلاحظ أن الصفات التي أعطاها النصارى لمريم جعلتها إلها، بل أنها لم تترك للإله شيئا يعلمه، ما دامت الملكة، المسؤولة عن الغفران والرزق.

وقد توجه النصارى الكاثوليك والأرثوذكس لها بالعبادة، أما البروتستانت فهم ينفون كل العبادات الموجهة إليها، وينكرون على الفرق الأخرى عبادتهم لمريم[3].

وتولي الفرقتان اهتماما خاصا لمريم، فالصلاة الموجهة إليها تعتبر من أهم الصلوات بعد الصلاة الموجهة إلى الله، وهي أرفع شأنا بكثير من الصلاة الموجهة إلى القديسين، وهذا لأنها تستحوذ على اسم «أم الإله» الذي لا يمكن لأي من البشر أن يسمى به[4].

ويرى ول ديورانت أن الصلاة الخاصة بمريم، والتي مطلعها «**السلام لك يا مريم**»، أخذت صيغتها المعروفة قبل انتهاء القرن الثاني عشر، كما أن صلوات الشعب في ذلك الوقت كانت توجه في الأغلب إلى **عيسى ومريم**.

الأمم الجاهلية الوثنية.

1. Garriguet: **la vierge Marie**, p.369.
2. **Notre dame de la trinité**, p.177.
3. **la vierge marie**, p.388.
4. Ibid, p.388.

لمن أراد أن يعرف المزيد عن العبادات الموجهة إلى مريم فليطالع كتاب:
Maria, étude sur la sainte vierge : sous la direction d'Hubert du Manoir,(Paris : Beauchesne et ses Fils, 1449).Tome 1.

فهو يشتمل على الاعتقادات الخاصة بمريم بتوسع في جميع الحضارات، وكذلك العبادات الموجهة إليها.

ويفسر هذا الكاتب الأسباب التي جعلت الشعب يتجه إلى عبادة العذراء، بأنهم يخافون الله تعالى، لأنه كان لا يزال يتصف في عقولهم بكثير من القسوة التي كانت ليهوه إله اليهود، فرأى الإنسان البسيط، أن عيسى أقرب إليه من الله، ولكنه هو أيضا إله، ومن أصعب الأشياء أن يجرؤ الإنسان على مخاطبته، من أجل ذلك بدأ الناس بتوجيه صلواتهم إلى القسيس[1]، وإلى مريم وهذا لأنها الطريق الوحيد للاقتراب من عيسى، فهي الأم التي لا ترد سائلا، وابنها لا يستطيع أن يرد لها شفاعة، ونظرا للأهمية الخاصة بعبادة مريم صيغ لها إنجيل يسمى « إنجيل مريم»[2].

وقد بلغت عبادة مريم حدا جعل خيال العامة يصور عيسى في صورة من يغار منها، ومن بين القصص أن شخصا ملأ السماوات بصلاة العذراء «السلام لك يا مريم» ، فظهر له المسيح وأنّبه أشد التأنيب، وقال له: إن أمي تشكرك كثيرا، ومع ذلك لا بد ألا تغفل عن الصلاة لي أيضا، فهذه القصة رغم خيالتها إلا أنها تعكس مدى تعلق الناس بعبادة مريم[3].

فمن خلال ما تقدم لا يسعنا إلى القول بأن مريم ألهت وعبدت، وكل صفاتها هي صفات الله تعالى، لهذا كان للقرآن مع عبادتها موقفا صريحا، بيّن من خلاله وجود عقيدة خاصة بمريم، هذه العقيدة التي لم يعرها المفكرون المسلمون الاهتمام والدراسة الكافية، بالرغم من تنبيه القرآن الكريم إليها، كما أن **القرآن كان أول من انتقد عبادة النصارى لمريم قبل أن تنتبه لها مدارس النقد الغربية.**

1. القرآن وألوهية مريم:

إن موقف القرآن الكريم من ألوهية مريم، هو الذي يجيبنا عن الشبه المثارة سابقا، فقد تكلم عزوجل عن عقيدة النصارى في مريم، في الآيات

1. وقد انتقد عزوجل عبادة النصارى لهم بقوله: «واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله...» التوبة/ 31.
2. قصة الحضارة، عصر الإيمان، ج16، ص22.
3. المصدر نفسه، ص22.

التالية:

1. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].
2. ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2].
3. ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

فالآية الأولى، لا يمكن ربطها بعقيدة التثليث كما فعل المفسرون، لأنها تتناول معتقدا آخر، فهي تشير إلى عبادة كائنين غير الله تعالى، واتخاذهما بطريق إشراكهما إلهين، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[4]، وقد يراد به التوسط بينهما وبينه عزوجل، فيكون الدون إشارة لقصور مرتبتهما عن مرتبته عزوجل[5].

كما أن سياق الآية يدل على أن النصارى عبدوا مريم واتخذوها بطريقة أو بأخرى إلها، مع أنهم لم يصرحوا بألوهيتها، فلم يقل عزوجل: «وقالوا ...» بخصوص هذا المعتقد -كما هو الشأن بالنسبة لعقيدة التثليث

---

1. المائدة/ 116.
2. المائدة/ 17.
3. المائدة/ 75.
4. يونس/ 18.
5. الألوسي: روح المعاني، ج 7-8، ص65. وقد فسر هذه الآية الرازي بأن الإله هو الخالق، والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم، والله تعالى ما خلقها البتة، فصح أنهم أتبتوا في حق بعض الأشياء كون المسيح ومريم إليه له مع أن الله تعالى ليس إلها له، فصح بهذا التأويل هذه الحكاية، ويبدو أن هذا التفسير بعيد عن مراد الآية. (التفسير الكبير، ج 12، ص134).

وعقيدة التجسد-، بل قال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾. وهذا مما يثبت أن منهج القرآن فريد في عرض ونقد العقائد على اختلافها.

وقد نفى القرآن ألوهية مريم، بالآيتين 2-3 ففي الآية الثانية بيّن تعالى، أن من حق من يكون إلها ألا يتعلق به ولا بشأن من شؤونه قدرة غيره، فضلا عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه، وقد وصف الله المسيح بذلك للتنبيه على أنه حادث تعلقت به القدرة لأنه تولد من أم. ويرى الألوسي أت تخصيص مريم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف لزيادة تأكيد عجز المسيح [1].

ونرى أن تخصيص مريم بالذكر دليل على أنها عبدت شأنها شأن المسيح في الألوهية، وهما سواء لا دخل لهما في إرادته وقدرته عزوجل [2].

وأما الآية الثالثة: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [3]، فقد أشار فيها عزوجل، إلى أن مريم ما هي إلا إنسانة صديقة [4] وأنها والمسيح كانا يأكلان الطعام، وهذا دليل على احتياجهما

1. روح المعاني، ج3، ص270-271.

2. يعتقد النصارى كما ذكرنا سابقا أن مريم تتوسط عند الله ليدفع الضر عن البشر ويقبل الدعاء، وقد بيّن عزوجل في هذه الآية إن إرادته مستقلة عن أي تدخل وأي وساطة، فلو شاء لأهلك المسيح وأمه الذين اتجه الناس إليهما بالعبادة. ثم كيف تكون مريم خازنة أموال الله ولله ملك السماوات والأرض.

وقد عقب عزوجل بقوله: ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ المائدة/ 67 فلا المسيح ولا أمه باستطاعتهما سماع الدعاء ثم توصيله إلى الله عزوجل لأن الله هو السميع العليم.

3. المائدة/ 75.

4. فسر قوله تعالى صديقة من وجوه: أولها- أنها صدقت بآيات ربها وبكل ما أخبر عنه ولدها وبكلمات الله وكتبه.

ثانيها- أنه تعالى قال: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشرا سويًّا﴾ مريم / 17 فلما كلمها جبريل وصدقت، وقع عليها اسم الصديقة، ثالثها- أن المراد بكونها صديقة غاية بعدها عن المعاصي وشدة جدها وابتهالها في إقامة مراسيم العبودية، فالكامل في هذه الصفة يسمى صديقا (الرازي: التفسير الكبير، 122، ص 16).

أشد الحاجة، والإله هو الذي يكون غنيا عن الحاجة [1]، فكيف يعقل أن يكون إلها من كان يعتمد على الأكل الذي هو وسيلة لاستمرار الحياة ودليل الافتقار إلى الرازق.

ونرى أن في هذه الآية أيضا ردا على من قال أن مريم خازنة كنوز الله فلو كان الأمر كذلك لما احتاجت إلى من يرزقها.

وبعد هذا العرض نجد أن القرآن هدم كل المعتقدات الخاصة بمريم، إذ بين عجزها عن رد الضر عن نفسها، فكيف يمكن لها دفعه عن الآخرين، كما بين احتياجها وافتقارها إلى من يرزقها، فكيف تكون خازنة كنوز الله وهي في حاجة إلى من يرزقها شأنها شأن المسيح وكافة البشر.

لقد وجهنا القرآن الكريم في الآيات السابقة إلى معتقد غاية في الأهمية، وهو «**عقيدة النصارى في مريم**» ، **وكان القرآن أول من انتقده**، لكن الفكر الإسلامي لم ينتبه إلى هذا المعتقد ولم يرد عليه، كما أن المفسرين **أخطأوا إذ أدمجوه بعقيدة التثليث**، فلا علاقة له بها، وما قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلا انتقاد لعقيدة التثليث وتبيين كونها مثل الثالوثات البدائية وهذا حسب رأينا هو الرد على من قال بأن القرآن أخطأ إذ اعتبر مريم ثالث الأقانيم الثلاثة.

إن المنهج القرآني في نقد ألوهية مريم يحمل إعجازا لا يمكن أن نفقه كنهه إلا إذا عرفنا مكانة مريم في اللاهوت المسيحي، وقد ركز القرآن في الآيات الخاصة بألوهية مريم، على عرض كل العقائد الخاصة بها بطريقة موجزة، تحمل دعوة للبحث بالعودة إلى أصول العقائد عند أصحابها، فهذا هو المنهج القرآني، لا يقيم الدليل دون اكتمال عناصر الاستدلال.

ولنا أن نتساءل، كيف يزعم المستشرقون أن محمدا ﷺ هو من ردّ على النصارى باستعمال آليات بيئته الفكرية، فكيف له أن يعرف بدقائق معتقد انتشر بعد مجيئه؟

1. المصدر نفسه، ج12، ص134.

خاتمة:

لا يسعنا بعد هذا العرض إلا القول، بأن محاولات المنصرين لإضعاف الوحدة البنائية للنقد القرآني، كللت بالفشل، لعدم صمودها أمام متانة المنهج القرآن الكريم في النقد، وكما مرّ معنا فالنقد القرآني لعقيدة التثليث، كان غاية في الفرادة، فقد كفّر تعالى القائلين بها، وانتقدها، فكان عزّ وجل في كل مرة يعرض لازم قول النصارى على أنه قولهم[1]، وبالتالي تميز المنهج القرآني بكونه يقدم عرضا ونقدا في آن واحد بإيجاز منقطع النظير، فهو يذكر ما يبدو لقارئه أنه لم تقله النصارى كما في الآيات التالية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾؛ ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾؛ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. فهم لم يقولوا صراحة، بأن الله ثالث ثلاثة آلهة، ولم يقولوا بأن الله هو المسيح، ولم يقولوا بأن المسيح ولد الله بالطريقة المعروفة، لكن الله عز وجل في هذا العرض **ينبههم إلى نتيجة قولهم**. فكلمة (قالوا) في الآيات التي تناولناها بالدراسة، كانت هي الكلمة المفتاحية وعنصر الاستدلال المهم الذي جعلنا نصل إلى حقيقة النقد القرآني، وهذا بعد أن بحثنا عن أقوالهم بالعودة لنصوصهم الدينية.

ويمكن القول أن منهج القرآن في الاستدلال يقدم لنا الحقيقة أو (النتيجة) ويوجهنا لعناصر الدليل بإيراد مفردات مفتاحية (قالوا)، لنستعمل عقولنا ونثبت الحقيقة.

لقد كان القرآن الكريم سباقا في عرض ونقد العقائد المنحرفة، فقد أثبت القرآن بطلان عقيدة التثليث بمنهج دقيق، كما كان سباقا في عرض عقيدة النصارى في مريم ثم نقدها، فحتى بعض النصارى أنفسهم لا يعرفون هذا المعتقد عندهم. فهذه الدراسة تبرز لنا عظمة النهج الرباني الذي أحاط بكل شيء علما؛ وتحث العقل المسلم أن يعيد البحث عن منهج النصوص القرآنية في إثبات الحقائق.

1. إن هذا العرض القرآني جعلنا نتساءل، كيف يقول الله عز وجل ما لم يقله النصارى؟ مما جعلنا نبحث عن السبب، توصلنا بعد بحث مطول إلى أنه تعالى يعرض لازم قول النصارى وينتقدهم من الكتاب المقدس.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل: المسند، ط [ ]، دار الفكر، ت [ ] ج1.
- بطرس عبد الملك: جون ألكسندر طمس، إبراهيم مطر: قاموس الكتاب المقدس، ط 10، (دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995م).
- تقي الدين أحمد تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط [ ]، مطابع المجد التجارية، ت [ ] ، ج3.
- توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة: كميل حشيمة اليسوعي، ط [ ] ، (بيروت: دار المشرق، 1992م).
- ابن الجوازي: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1،)بيروت دار الفكر للطباعة والنشر، 1987م
- أبو الحسن مسلم (261هـ): صحيح مسلم ، تحقيق وتصحيح : محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ت[ ]).
- أبو عبد الله فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج12 .
- دائرة المعارف الكتابية، ط3، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية)، ج1، ص327) .
- شهاب الدين محمود الألوس البغدادي: روح المعاني في تفسير السبع المثاني، ط [ ]، (مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ت [ ])، ج3.
- صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، الدراسة المسكونية: جان كوربون، ط1، (بيروت: دار المشرق بالتعاون معع مجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م).
- عبد الجبار أحمد الهمداني: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق وتقديم: عبد الكريم عثمان، ط [ ]، (بيروت: الدار العربية، ت [ ])، ص145.

- عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر، ط [ ]، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1986م).
- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (بيروت: دار الجيل، 1991م).
- فاضل سيداروس: سر الثالوث الأحد، ط2، (بيروت: دار المشرق، 1995م)، ص41.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم، ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط [ ]، (القاهرة: دار المعارف، ت [ ])، ج6.
- القاسمي محمد جمال الدين (ت 1914م): محاسن التأويل، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (دار إحياء العربية ، 1957م)، ج 5.
- لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة: صبحي الصالح، فريد جبر، ط2، (بيروت: دار المعارف للملايين، 1979م)، ج2.
- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم: عبد الله دراز، محمود محمد شاكر، ط4، (دمشق: دار الفكر، 1987م)
- محمد بن حجر العسقلاني الشافعي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ت [ ])، ج6
- محمد بن عبد الرحمن الدارمي: السنن، تحقيق وتخريج: السيد عبد الله هاشم، (باكستان: حديث أكاديمي، 1984م)، ج2.
- محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (دار إحياء العربية، 1957م)، مج5.
- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، (بيروت: دار المعرفة، ت [ ])، ج6.

- محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيان الكونية، ط8، (دمشق: دار الفكر، 1987م).
- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط [ ]، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ت [ ] ، ج 6-7.
- محمد علي برو: الكتاب المقدس في الميزان، (بيروت: الدار الإسلامية، 1993م).
- ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ط2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981م)، م9.
- ميلتون فيشر: قانونية العهد الجديد، - قصة الكتاب المقدس-، ترجمة : ندى بريدي، ط1، (القاهرة: دار الثقافة، 2012م)
- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، ط[ ]، (بيروت: دار الجيل، ت [ ])، ج16، ص28-29).

باللغة الأجنبية:

– Bergier (Nicolas-Sylvestre, M.) : Encyclopédie méthodique, (Paris : Panckoucke, 1790), Volume 3, p.710
– Dictionnaire Encyclopédique de Christianisme Ancien, (Belgique : Les Editions du Cerf, 1990), Tome 2, p.1846
– Henneche, E. : Neutestomentliche Apokryphen, d'après Henri Michaud : Jésus selon le Coran, p.108
– E. Royston Picke : Dictionnaire des Religions, adaptation française : Serge Hutin, (Paris : Presses Universitaires de France, 1954), p.308
– Glavis de Provin : Notre dame de la trinité, D'après la théologie, l'art et la mystique, 4ème édition (France : Bloie, Belgique : Gembloux, 1932)
– Jésus selon le Coran : Cahiers théologiques, n°46, (de la chaux et Nirstlé, S. A. Neuchatel, 1960), p.8
– L. Garriguet : La vierge Marie, Edition (5), (Paris : Pierre Téqui

libraire-éditeur, 1924), p.9-13
- Maria, Etude sur la Sainte Vièrge : sous la direction d'Hubert du Manoir, (Paris : Beauchesne et ses Fils, 1449), Tome 1.
- Sous la Direction de Angelo Di Beradino : Dictionnaire Encyclopédique de Christiannisme Ancien, (Belgique : Les Editions du Cerf, 1990).